كتاب عباس الثاني

الفصل الثالث

نتائج الازمة الوزارية

يظن البعض ان عدم نشر الامر العالي بتعيين نخري باشا رئيساً لنتظار على ما جاء في الجزء الماضي دليل على انهُ لم يتولَّ الرئاسة فعلاً . والواقع انهُ تولاَّها رسميًّا اربعة ايام من ١٥ يناير سنة ١٨٩٣ الى آخر ١٨ منهُ . وفي التاسع عشر من يناير حلَّت وزارتهُ ودعي رياض باشا لتأليف وزارة جديدة . وقد قال لورد كرومر في فاتحة هذا الفصل ان عزل نخري باشا وقع موقعاً حسناً لدى جرائد المحافظين في بلاد الانكليز ولدى فريق يذهب مذهبهم من الاحرار . واستطرد الى الكلام على ضعف وزارة الاحرار في الامور الخارجية حتى اضطرَّ هذا الفريق من حزبها ان يؤيد المحافظين لكي يزول ما رسخ في الاذهان من وهن الحكومة الانكليزية في سياستها الخارجيَّة وجنوحها الى المسالمة ولو خسرت بها خسارة كبيرة . وقال ان الحكومة الايطالية استحسنت ما فعلتهُ انكلترا وعدَّاً وزير خارجيتها السفير الانكليزي بما ابدتهُ دولتهُ من الحزم . وجرى الكونت كنوكي وزير خارجية النمسا والمجر هذا المجرى وقال للسفير الانكليزي السر اغسطس باجت ان الحكومة الانكليزية احسنت في ما فعلت لانهُ يدل على ان سياستها واحدة سواءٌ كانت وزارتها في يد الاحرار او المحافظين . واعترض المسيو ودنجتون سفير فرنسا في لندن على ما حدث قائلاً انهُ نوع من الاستبداد الذي يخشى ان يؤدِّي في اوربا كما ادَّى في فرنسا بانهُ خطوة نحو ضم مصر الى انكلترا . فاجابهُ لورد روزبري وزير الخارجية « انهُ حدث شيءٌ من الاستبداد ولكنهُ كان من الخديوي لانهُ اختار رئيساً للوزارة رجلاً لا يصلح لهذا المنصب وذلك من غير ان ينبِّه او يحلِّل او يستشير » . ورجال الحل والعقد في الاستانة لم يعترضوا على ما حدث ولكن لما زيد عدد الحامية البريطانية كما سيجيء اغتاظ السلطان من ذلك لانهُ كان يفتخر امام اعوانهِ بقرب جلاء الانكليز على ما قالهُ السر كلير فورد . ومن رأي لورد كرومر ان وزارة غلادستون استفادت ادبيًّا من سياسة الحزم التي اتبعتها في مصر اذ اظهرت للملإ ان الاحرار لا يعوزهم الحزم اذا اقتضت الحال

وعاد لورد كرومر بعد هذا التمهيد الى الكلام على رياض باشا والخطة التي جرى عليها . والحق يقال ان هذه الخطة ادهشت كل الذين كانوا يعرفون رياض باشا فقد كان يقرأ

مجلة الاستاذ على زائريه ويطرب بما فيها مما يثير الخواطر ويقول ان الخديوي عباس هو غير الخديوي توفيق وانهُ يرى من عزمهِ وحزمهِ ما يكفل لهُ النجاح في مقاومة النفوذ البريطاني في هذا القطر. وطلب منا ان نؤيدهُ في هذه المقاومة فذكَّرناهُ بكلامهِ لنا حينما اردنا انشاء المقطم وبالخطة التي وضعها لنا. فقال تلك ايام مضت والخديوي الحالي غير ابيهِ وفوق ذلك فان لورد كرومر يريد ان يكون لهُ يد في كل امورنا الداخلية فيضرنا اكثر مما ينفعنا وهذا شيء لا نطيقهُ. فقلنا لهُ وهل تكفلون النجاح في مقاومتهِ فابان لنا ان بعض الدول الاوربية ولاسيما فرنسا لا تحجم عن تأييدهِ. فذكَّرنا دولتهُ بان حزب الاستعمار الفرنسوي الذي يعتمد عليهِ لا يستطيع ان يقاوم حزب المال فيها وان المانيا وايطاليا والنمسا تؤيد انكلترا. وكنا نعلم بالاختبار ان لورد كرومر لا يبغي الا خير القطر وسكانهِ وان كل مقاومة لانكلترا تكون نتيجتها مناقضة للغاية المقصودة منها. فلم نذخر وسعاً في اقامة الدليل بعد الدليل لدولة الوزير حتى يعود الى الاتفاق معهُ ولكن ذهب سعينا سدًى. والذي يراجع اعداد المقطم الصادرة في عهد تلك الوزارة يرى فيها مقالات كثيرة مسطرة بمداد الاخلاص في النصح والتوسل الى الوزير لكي لا يغاضب عميد دولة لا يقوى على مقاومتها. وما كنا نكتبهُ بالقلم كان اقل جدًّا مما كنا نبديهِ لدولتهِ باللسان ولكنهُ كان واثقاً على ما يظهر ان فرنسا وروسيا تؤيدانهِ وتضطران انكلترا الى الجلاء

وقال لورد كرومر في هذا الفصل انهُ لم يمضِ وقت طويل على تربُّع رياض باشا في رئاسة النظار حتى اتضح للعيان ان تعيينهُ كان خطأً ولكن لم يكن حينئذٍ في القطر المصري اصلح منهُ لارشاد الحركة الفكرية التي اثارها الخديوي بصنيعهِ الاخير لانهُ كان حرَّ الفكر وكان يعرف شرور الجري في الخطة التي جرى فيها العرابيون وقد رأى بلادهُ تتخبط في لجة الثورة ولم تُنتشل منها الا بواسطة الجنود الانكليزية. وكان لهُ سطوة كبيرة في البلاد فاذا احسن استعمالها بالسياسة والحكمة امكنهُ التوفيق بين اصحاب المصالح المتضادة والتقدم نحو الاستقلال التام. ولكن هذه الاماني خيبت كلها فانهُ مدح الخديوي على ما فعلهُ وحثهُ على مقاومة انكلترا عوضاً عن ان يرشدهُ لاختيار سبيل المسالمة. وفي التاسع عشر من يناير قابلهُ السر الون بالمر فارسلتهُ الى لورد روزبري الخطاب التالي

« استنتج السر الون بالمر من الحديث مع رياض باشا ان دولتهُ عازم على مجاراة الخديوي في كل شيء وقد امتاز جدًّا مما سمعهُ منهُ فقد قال لهُ في بحر الحديث ان سلوك الخديوي رفع شأنهُ في عيون امتهِ وان المصريين كلهم صاروا الآن على رأيهِ »

ثم قال ان الوزارة تغيرت مراراً في عهد توفيق باشا فكان الناس يتحدثون في امرها كما تغيرت وقد تثور الخواطر قليلاً ثم تخمد ثورتها سريعاً اما الآن فكانت الدلائل تدل على ان ثورة الخواطر كانت شديدة متأصلة غير مقتصرة على الفضوليين الذين دأبهم التعرض لشؤون غيرهم فقد قال لي صديق من المصريين ان الحالة كانت حينئذٍ شبيهة بما كانت عليه في زمن عرابي ولا تفرق عنها الا في اعتقاد الجمهور ان الخديوي هو المزعم الآن فان كل احد من الباشوات الذين اضاعوا امتيازاتهم او غُلَّت ايديهم وكل متعصب يلعن الاجانب في سره وكل طلاَّب الوظائف الذي لم ينالوها وكل مرتشٍ سُدَّت في وجهه سبل الرشوة بسبب المراقبة الانكليزية وكل شاب مفتر بنفسه يحسب انهُ فوق رؤسائه الانكليز علماً وذكاء — كل هؤلاء التفُّوا حول الخديوي ونادوا بمقاومة العمران الاوربي . واتفق المتفرنسون الذين يدَّعون انهم من اهل الاصلاح مع الرجعيين من الباشوات الذين كانوا يحنُّون الى العهد القديم عهد الرشوة والكرباج وقامت الجرائد المعادية للانكليز فقلبت الحقائق وقالت ان الخديوي فاز فوزاً مبيناً وانكرت انهُ وعد باستشارة انكلترا والجري حسب مشورتها . وجرت مظاهرة عنيفة امام جريدة المقطم المسالمة للانكليز وعُقدت اجتماعات في الاقاليم كان الكلام فيها يشفُّ عن العداء للاوربيين وجاءت الوفود الى القاهرة تهنئ الخديوي على وطنيته . فاوجس الاوربيون شرًّا واوقفت البنوك تسليف النقود

الاَّ ان هذه المظاهرات كلها كانت سطحية فارغة فان مشايخ القرى الذين لبوا اوامر الباشوات وهتأوا الخديوي على مقاومته للانكليز كانوا يودون من صميم افئدتهم ان يثبت الانكليز في مقاومتهم للخديوي و يقوم من العود الى مساوىء العهد الماضي . وما من احد كان يود حقيقة ان يفعل الانكليز حسب رغبة الباشوات و يجلوا عن البلاد . ومع ان هذه الحركة كانت سطحية لان ليس لعشرة ملايين من سكان القطر يد فيها الاَّ انها كانت مضرة واذا لم تمنع فقد تؤدي الى عواقب وخيمة لانهُ اذا قام زعماء السوء الذين لا يقدرون العواقب في جمهور بسيط يميل الى تصديق كل شيء فمن يعلم ماذا تكون العواقب . وزد على ذلك ان الامَّة المصرية التي لم تكن ترضى بهذه المشاغبات لم تكن قادرة ان تبدي رأيها اما لانها غير متعلمة واما لانها تخاف الحكام . وأما المشاغبون انفسهم فكانوا كثيري الثرثرة بالعربية وبالفرنسوية ايضاً حتى يظن من يسمعهم انهم يعبرون عن رأي الشعب المصري كله

ثبت لي من ذلك ان القائمين بهذه الحركة يعتقدون ان الحكومة الانكليزية كانت عازمة ان تترك زمام الامور في مصر وان هذا هو السبب الاساسي لما هم فيه . فرأيت ان علاجهُ

يقوم بنفي هذا الوهم وذلك بزيادة الحامية الانكليزية ولزيادتها فائدة اخرى وهي تسكين الافكار وتطمين الخواطر فارسلت تلغرافاً الى لورد روزبري في ٩ يناير اقول فيهِ

« اني كنت راضياً بالكلام الذي قالهُ لي الخديوي وبالتعرف الذي تصرفهُ ولكن الحالة الحاضرة تشغل البال فقد فهمتُ ان رياض باشا جعل يتوسل بالدين فصار عرضةً لمجاراة المعادين للاوربيين ولذلك يحتمل ان يميل الخديوي اليهِ بعد ان كان مائلاً عنهُ ويتفق الاثنان على مقاومة انكلترا فيقع ما لا يُحمَد

« وقد زار الخديوي امس جمعٌ غفير من الوطنيين والمظاهرة مدبَّرة والناس لا يميلون الى الخديوي قلبياً ولكن لا يصعب اقناعهم بانهُ وطنيٌّ يغار على وطنهِ ويودُّ تخليصهُ من الاجانب . وقد اشتدَّت لهجة الجرائد المتطرفة وجاهرت بالعداء

« ومن رأيي ورأي الجنرال ووكر ان احامية البريطانية هنا ضعيفة جدًّا واودُّ ان اعلن انها ستزاد قريباً . وانا واثق ان لا شيءَ تقولهُ الحكومة الانكليزية او تفعلهُ يقوى على تسكين الاضطراب ومنع ما يمكن ان يحدث من الضرر مثل زيادة الحامية واودُّ ان اعلن زيادتها قبلما يعمل الخديوي او رياض باشا عملاً آخر مثل اعمال الطيش التي عملت قبلاً »

فجاء في متنهُ التلغراف التالي في ٢٣ يناير وهو

« نظراً الى الحوادث التي حدثت اخيراً والى الرأي الذي ابديتموهُ انتم وقائد الحامية البريطانية عزمت حكومة جلالة الملكة ان تزيد الحامية في مصر فاطلب اليك ان تعلن ذلك للخديوي ولرئيس النظار من غير ان تذكر لهما سبباً مخصوصاً لهذه الزيادة »

ولم أكد انقل هذا الخبر الى رياض باشا حتى غيَّر منهجهُ وبادر الى تسكين الاضطراب الذي كان هو سببهُ بعد ما ظهر في الاقاليم من الهياج ضد الاوربيين واطأنت افكارهم وافكار الوطنيين المسالمين للانكليز . ورأى كل احد ان لصبر الحكومة الانكليزية حدًّا وانها لا تحجم عن استعمال الشدَّة اذا اقتضتها مصلحة العمران . انتهى

هذا وغنيٌّ عن البيان اننا ذكرنا حوادث هذا الفصل ونتائجها بالاسهاب في المقطم . وكان مكاتبونا في الاستانة ولندن وباريس يوافوننا بوقع هذه الحوادث في تلك العواصم واقوال ساستها فيها . وكنا لا نألو جهداً في نصح المشاغبين وتهدئة الخواطر حتى لما هجم بعض المغرورين على ادارة المقطم (كما اشار لورد كرومر) وارسلوا تلغرافاً الى جريدة الاهرام في الاسكندرية يتبجحون بما فعلوا لم نلهم قدر ما لنا الذين اغروهم بفعل ما فعلوا

ولما اشرنا الى هذه الحادثة في المقطم بعد بضعة ايام قلنا « اننا تمكنا من سد باب الشر بالتي هي احسن وتدارك هذه المسألة همة صاحب الدولة رياض باشا كما اخبرنا شفاهاً وقبضت الحكومة على بعض الهاجمين وهي تبحث الآن عن البعض الآخر وعن الذين حرّضوهم على هذا التطاول القبيح »

ومن الامور التي نتذكرها جيداً ان احدهم قابل جناب لورد كرومر في تلك الاثناء واخبره بما كان يسمعهُ من الذين عرفوا الثورة العرابية في كل ادوارها وهو ان حركة الخواطر حينئذٍ كانت تشبه الحركة التي سبقت الثورة العرابية فقال لهُ جناب اللورد لا تخشَ من ثورة لان الناس لا يثورون الاَّ من جوع او من ظلم ولا جوع في البلاد ولا ظلم فيها والمشاغبون لا يملكون شيئاً واما اصحاب المصالح الحقيقية ككبار الملاَّك وكبار التجار فغير مشاركين لهم . ثم فكّر في الامر قليلاً واستدعى الجنرال ووكر وتذاكر معهُ وعلما بعدئذٍ انهُ قرّ القرار على زيادة جيش الاحتلال تسكيناً للخواطر . وجاء روتر بخبر ذلك في الرابع والعشرين من يناير ونشرنا في المقطم حينئذٍ الكلام التالي

« كان من نتائج ثورة الخواطر التي هاجتها بعض الجرائد ما نراهُ اليوم في تلغراف روتر من عزم الحكومة الانكليزية على زيادة جيش الاحتلال . فالليلة او غداً تصل الى العاصمة اورطة جديدة من الجيش الانكليزي واذا لم تستتب السكينة على ما يجب جاءتنا اورطة اخرى بعدها فيكثر جيش الاحتلال عوضاً عن ان ينقص وتطول مدة الاحتلال بدلاً من ان تقصر . وقد مضى على المقطم اربع سنوات وهو ينادي بان الراحة والسكينة وانتظام الاحوال كافية لاقناع انكلترا بالجلاء عن هذا القطر وقد اجلت اكثر جيوش الاحتلال في مدة السنوات الاربع الماضية . اما الآن فقد ابى دعاة الفتنة الاَّ اقلاق الخواطر فارجعونا بفضل ما ينشرونهُ من الترهات والاضاليل خطوة الى الوراء بعد ان كنا ننتظر التقدم خطوتين الى الامام . لكننا واثقون انهُ يحزم اميرنا المعظم وحكمة وزيره الاكبر واخوانهِ الوزراء تزول كل دواعي الفتن وتلجم اقلام الكتّاب المهيجة فترتع الرعية في بحبوحة الامن والسلام »

ولم يكد خبر زيادة الحامية البريطانية يعلم في مصر حتى اوعز رياض باشا الى صاحب جريدة الاستاذ المهيجة ان تكتب فصلاً طويلاً تحث فيهِ على التزام السكينة ومسالمة الاجانب وتنهى عن التعصب وتبين الفرق بينهُ وبين التديُّن وتطلب من الناس ان يعتبروا بالثورة العرابية . فتقناهُ عنها في مقطم السادس والعشرين من يناير واردفناهُ « بقولنا حبذا لو تقدمت هذه النصيحة اسبوعين » . ثم عاد صاحب جريدة الاستاذ الى نفث غيظهِ بغير الاوربيين

من النزلاء حتى اضطرّ رياض باشا ان يخرجهُ من القطر لكي لا يحمل نتيجة فعالهِ

ويحسن بنا في هذا المقام ان نجاهر بما كنا نراهُ من لورد كرومر في عهد الخديوي الاسبق فانهُ كان يبذل جهدهُ في تأييد الخديوي ونسبة كل الاعمال النافعة اليهِ والى وزارتهِ وكان لا يفتر عن القول لنا ان الاحتلال وقتي ولا بد من خروج الجيش البريطاني من مصر رويداً رويداً فيجب ان يزيد تعلُّق الامة باميرها واعتمادها على حكومتهِ حتى لا يبقى اقل خوف من حدوث ثورة اخرى او اقل اضطرار الى بقاء الحامية البريطانية . وانّا لموقنون انهُ لو اطال الله في اجل الخديوي الاسبق سنتين او ثلاثاً وبقيت احوال البلاد جارية مجراها لا تقضي زمن الاحتلال حينئذٍ وبقيت مصر على استقلالها مصادقة للدولة البريطانية مصافيةً لها

ولعلَّ السبب الاكبر لثورة الخواطر التي اقتضت عزل مصطفى باشا ونصيب رياض باشا ليس من مصر بل من اوربا . فان الماتيا كانت تريد ان يبقى الانكليز في مصر ليبقى الخصام بين انكلترا وفرنسا كما اتضح الآن . وبعض اصحاب المصالح المالية في مصر من الاوربيين بريطانيين كانوا او فرنسويين كانوا يودون ان يدوم الاحتلال فكانوا يغرون بعض الجرائد المصرية افرنجية كانت او عربية باثارة الخواطر والتهييج على الانكليز حتى يلجئوهم الى البقاء في القطر المصري . والى مثل ذلك اشار صاحب الاستاذ في مقالتهِ المشار اليها آنفاً حيث قال « وكلنا يعلم ان عواقب الحركة السابقة في سنة ٨٢ كانت وخيمة على البلاد انتهت بما لا يحمدهُ المصريون فكأنها انذار ابدي يخوفنا كل وقت من سوء عاقبة الهيجان واشتعال الافكار فليكن ذلك لدى عين كل مصري تدفعهُ الاراجيف والمختلقات الى التهور والحدة في الكلام خصوصاً ونحن نعلم ان بعض من تسموا باسمائنا وظهروا بالتدين بديننا يتغلغلون المجالس والقهاوي والمحافل مهيجين ومقيحين لاعمال انكلترا وما يسعون الاَّ في اثارة الخواطر وخدمة الدولة التي تستخدمهم »

الفصل الرابع

في وزارتي رياض ونوبار

قال لورد كرومر في فاتحة هذا الفصل اني ارسلت تلغرافاً الى لورد روزبري وزير الخارجية الانكليزية في ٢٧ يناير سنة ١٨٩٣ اقول فيهِ « ان الاحوال في المستقبل القريب في مصر تتوقف بالاكثر على التأثير الذي يؤثرهُ رياض باشا في ذهن الخديوي » . ثم اتضح لي بعد ذلك امران الاول ان رياض باشا كان يأبى ان يؤثر في ذهن الخديوي لكي

يخف من عدائه للانكليز او كان عاجزاً عن ذلك . والثاني اني كنت انتظر ان ينقاد الخديوي لرياض باشا فجاء الامر على ضد ما انتظرت وانقاد رياض باشا للخديوي . في عهد اسمعيل باشا كان رياض باشا عارفاً حقيقة المركز الذي كان فيه فابدى من الحزم والعزم وحسن السياسة ما خدم به بلاده خدمة نصوحاً لا تمحوها الحوادث التي سأذكرها . اما الآن فانهُ لم يفهم المركز الذي هو فيه تمام الفهم لاسيما وانهُ مركز محفوف بهِ المشاكل . وهو من الذين تتنازعهم الاهواء المختلفة فانهُ كان ضد الاوربيين بمعنى انهُ كان يودُّ ان يجعل سيطرتهم على الادارة المصرية على اقلها وهو امر يمدح عليهِ ولكنهُ كان يخشى المجاهرة بما في ضميره . وكان يكره الانكليز ولكنهُ كان يفضل الوقوع في يدهم على الوقوع في يد الفرنسويين . وكان يكره النظامات النيابيَّة ولكنهُ شجع مجلس الشورى والجمعية العمومية على التمسك بحقوقها ومعاضبة انكلترا . وكان يوجس شرًّا من ان تعاد الى الخديوي السلطة التي اساء استعمالها جدهُ ولكنهُ لم يرَ ردعهُ عن استعمال سلطة مثل هذه . وكان يكره آراء العرابيين ولكنهُ لم يربأ بنفسهِ عن مجاراة الذين كان يعلم انهم يتوخون تفضيل العنصر المصري المحض على العنصر المصري التركي كما كان رأي العرابيين . وكان يود ان لا يبقى في البلاد موظف اوربي ولكنهُ كان يعترف بانهُ لا يستطيع الاستغناء عن الموظفين الاوربيين . وكان يكره اطلاق الحرية للجرائد ولكنهُ شجع اشد الجرائد تهييجاً على نشر مقالات من اضر ما يكون . ولذلك كانت اعمالهُ متناقضة كالتناقض الذي في ذهنهِ فاضطرَّ ان يقطع ويوصل ويبني ويثبت . انهى اولاً ان يسمح للسرجون سكوت ولموظف آخر انكليزي ان يحضرا اجتماع مجلس النظار ثم اضطر ان يصدر امراً مناقضاً لحكمهِ السابق . نشر مرةً منشوراً مفادهُ منع الموظفين في الاقاليم من مخابرة موظفي البوليس الانكليز ثم نشر منشوراً آخر ناقض بهِ المنشور الاول . كان يشجع الجرائد المتطرفة على ذم انكلترا ثم اعطى مالاً لمحرر اشد الجرائد تطرفاً لكي يوقف جريدتهُ ويغادر البلاد

واهم ما حدث في صيف هذه السنة (١٨٩٣) زيارة الخديوي للاستانة وقد رافقهُ اليها نفران باشا . وكان المظنون ان اموراً ذات شأن كبير تنجم عن هذه الزيارة فان الخديوي ابتدأ بحكمهِ كارهاً للاتراك ثم الجأتهُ كراهتهُ للانكليز ان يجعل الاتراك قبلتهُ وتوسَّل الى السلطان لينقذهُ من نير الانكليز مبيناً لهُ مثاعب الاحتلال وشاكياً مرَّ الشكوى من الموظفين الانكليز في مصر . وقد طاف نفران باشا على السفراء وهو يبذل ما اعطي من فصاحة اللسان تحريك شفقتهم على مصر . وذهب وفد من الشيوخ المصريين لتقديم عريضة الى السلطان

توسلوا فيها اليهِ ان يخرج الانكليز من الديار المصرية فأبوا بالقشل ونصح السلطان للخديوي كما ينصح الوالد ولدهُ ان يخضع لاحكام الزمان ويسالم الانكليز ويصادقهم واستدعى تفران باشا اليهِ وحذَّرهُ من السير في خطة توقع الشاكل ومن اغراء الخديوي بذلك . فلحال تغيَّر سير تفران باشا وجاهر بانهُ يودُّ ان يجاري الانكليز واخبر سفير ايطاليا في الاستانة ان زيارة الخديوي نفت من ذهنهِ كل وهم توهمهُ قبل ذهابهِ الى الاستانة

وبعد ان وصف لورد كرومر استياء الذين ذهبوا مع الخديوي الى الاستانة من المعاملة التي عوملوا بها قال سُئل شيخ يميل الى الانكليز من الذين وقَّعوا العريضة المشار اليها آنفاً لماذا وقَّعتها فقال «ان توقيعي لما لا يخرج الانكليز من مصر وعدم توقيعي لا يبقيهم فيها فوقَّعتها لارضي الخديوي واما الانكليز فباقون هنا على كل حال وامورنا ميسورة في عهدهم» . ولا شبهة في ان كثيرين من الذين وقَّعوا تلك العريضة كانوا مثل هذا الشيخ ولذلك رأى الخديوي في زيارتهِ للاستانة ما اقنعهُ بانهُ لا يمكن ان ينتظر مساعدة منها . وكنت احسب ان نتيجة زيارتهِ ستكون كذلك فلم اهتم بتثبيط عزمهِ مع انهُ طُلب مني ان افعل ذلك

وعاد لورد كرومر من اوربا في اكتوبر وحدثت بعيد ذلك حادثة الحدود المشهورة وسنأتي في الجزء التالي على ما قالهُ عنها

وقد بعث الينا مكاتبنا الذي رافق الخديوي الى الاستانة بصورة العريضة التي اشار اليها لورد كرومر فنشرناها في ١٧ يوليو سنة ١٨٩٣ وفيها يقول رافعوها ان الله عزَّ وجل نظر الى العالم نظر رحمة فاختارك يا امير المؤمنين من بين البرية خليفة على عبادهِ وجمع فيك شرائط الخلافة وبسط لك من القوة والسطوة وآتاك من الحزم والعزم واصالة الرأي ما يفتخر بهِ هذا العصر على سائر الاعصار» الى ان قالوا «فالآن وقد وفدنا على دار الخلافة مع سمو وكيلك المطبوع على محبة جلالتك المفخر بنظرات الرضى عليهِ من الطاف عظمتك الواقف موقف السمع والطاعة لاوامرك راجين من السدَّة السنية اجراء الوسائط الفعالة لاخراج هذا الداخل على وطننا» الى آخر ما جاء فيها . فانكر رياض باشا صحتها فوقفنا في حيرة لاننا نعتقد صدقهُ ونعتقد ايضاً صدق مكاتبنا . ثم جاءت التلغرافات العمومية مؤيدة صدق خبرنا فثبت لنا حينئذٍ ان رياض باشا لم يكن عالماً بهذه العريضة . واقد اصاب الشيخ الذي ذكر لورد كرومر قصتهُ فان هذه العريضة على بلاغة عبارتها لا تخرج عن كونها دعاء وتوسلاً بكتب المترسلون صفحات مثلها حسب نبوغهم في الانشاء من غير ان تدل على رأيهم او رأي غيرهم